بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. **{رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا}** [الكهف: 10].

{رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما.

نحمدك الله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

خير ما أحييكم به أيها الأخوة الكرام: تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

«وبعد»

القرآن –الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم- أعظم نعم الله على الأمة. وبإنزاله كمل الدين وتمت النعمة، كما قال تعالى: **{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا}** [المائدة: 3].

فهو الكتاب الخالد الذي: **{لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ}** [فصلت: 42]، وهو: **{كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}** [هود: 1].

نحن المسلمين وحدنا نملك كلمات الله الخالدة الباقية، التي لم يعترها

تحريف ولا تبديل. أما الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله السابقين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد أصابها التحريف اللفظي والمعنوي[1]، ولم تبق سالمة مصفاة؛ لأن الله لم يحفظها، وإنما استحفظ عليها أهلها[2]، ولم يتكفل بحفظها؛ لأنها كانت كتبا موقوتة لقوم مخصوصين في مرحلة معينة.

فلما جاءت رسالة الإسلام العامة الخالدة، أنزل الله لأهلها وللبشرية كلها كتابا خالدا، لا يعتريه تحريف ولا تبديل؛ لأن الله تتت تكفل بحفظه بنفسه، ولم يستحفظه أحدا من خلقه، قال عز من قائل: {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**} [الحجر: 9].

ولذلك لا نجد كتابا سماويا بقي كما أنزله الله تعالى إلا القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي بقي كما أنزل على محمد صصص، فنحن نقرؤه كما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا القرآن حفظ من جميع جوانبه.

جوانب حفظ القرآن الكريم:

الأول: حفظ بطريقة نطقه وإلقائه أو أدائه، في الغن والمد والإظهار والإدغام وغير ذلك. وكان هذا سببا في تأليف علم التجويد، الذي يخدم القرآن ويحافظ على طريقة الأداء بأحكامه المعروفة، لتبقى طريقة أداء القرآن الكريم كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) التحريف اللفظي بتبديل كلمة مكان كلمة، أو حذفها نهائيا. والتحريف المعنوي بسوء التأويل. قال تعالى: {**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [البقرة: 75].

(2) قال تعالى: {**إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ**} [المائدة: 44].

الثاني: حفظ بطريقة كتابته، فمنذ كتب في عهد عثمان ررر بقيت كتابته ورسمه على ما كان عليه في عهد عثمان، ولم يطرأ على هذه الكتابة إلا شيء من النقط والشكل فقط، ولذلك نجد كلمات في القرآن تكتب على غير قواعد الإملاء التي نعرفها مثل كلمة: «الصلواة، والزكواة، والربى»، وغير ذلك من الكلمات التي بقيت على هذا الرسم إلى الآن، ولم يجرؤ أحد أن يغير في هذا الكتاب، حتى في رسم هذه الكلمات ليبقى هذا الكتاب سالما.

كما أن هناك مئة وأربع عشرة سورة في كتاب الله كلها بدئت بالبسملة: **{بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}** [الفاتحة: 1]، إلا سورة واحدة هي سورة التوبة «سورة براءة»[3].

---

(3) اختلف العلماء في عدم ذكر البسملة في أول سورة «براءة» على أقوال:

الأول: أنه قيل: كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة «باسمك اللهم»، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صصص والمشركين، بعث النبي صصص علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهود من ترك البسملة.

الثاني: قيل: إنهم لما كتبوا المصحف في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه، اختلف أصحاب رسول الله صصص فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة،وقال بعضهم: هما سورتان. فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت: {**بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**} [الفاتحة: 1]، لقول من قال: هما سورة واحدة.

الثالث: قيل: إن هذه السورة جاءت بالعذاب والنكال، و {**بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**}رمز للأمان والرحمة والاطمئنان، فلا تناسب بينهما، وهذا هو السر في عدم كتابة البسملة في هذه السورة، قال ابن عباس: سألت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، لم لم يكتب في براءة: **{بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}**، وكتبت في غيرها؟ فقال: لأن **{بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}** أمان، وهذه السورة نزلت بالسيف، ونبذ العهود، فهي حرب ليس فيها أمان، وقال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر السورة البسملة؛ لأن التسمية رحمة

ولم يجرؤ أحد طوال أربعة عشر قرنا أن يقول: لنضع فيها البسملة لتكون كغيرها. ولم ولن يجرؤ أحد على ذلك، وهذا من أسرار حفظ هذا الكتاب الذي خصنا الله به.

ولذلك نحن المسلمين نعتز ونفخر بأن عندنا كلمات الله الهادية النيرة التي تضيء للبشرية كلها طريق الحياة إلى التي هي أقوم، وأن هذه الكلمات تكفل الله بحفظها فلم يصبها تغيير ولا تبديل.

خصائص القرآن الكريم:

من خصائص القرآن الكريم أنه كتاب ميسر، يسره الله للحفظ وللفهم وللذكر.

1-تيسير حفظه:

يسر الله القرآن الكريم للحفظ، فهناك الآلاف المؤلفة من العرب ومن غير العرب الذين لا يعرفون العربية من الأطفال الصغار يحفظون هذا الكتاب، يقرؤونه عن غيب، ولا يخطئون ولا يلحنون.

كنت في الباكستان وزرت بعض المدارس هناك، فوجدت كثيرا من الطلاب الصغار بها يحفظون القرآن الكريم، منهم من يحفظ نصفه، ومنهم من يحفظ ثلثيه، ومنهم من يحفظه كله. وسألت بعض هؤلاء في حفظه للقرآن الكريم فكان الواحد منهم مثل المسجل «ركورد» حافظ للقرآن، لا يخرم منه حرفا، ولا يسقط كلمة، وحين قلت له: ما اسمك؟ لم يعرف ما أقول، لم يفهم

= والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين ولا كرامة. انظر: القرطبي (10/93- 95).

معنى كلمة: «ما اسمك؟»، فهو لا يعرف كلمات العربية ولا معانيها، ومع هذا يحفظ القرآن الكريم، ويجيد حفظه وترتيله. أليس هذا من أسرار تيسير الله هذا الكتاب للحفظ؟

إنه لا يوجد كتاب يحفظه الناس دون أن يعرفوا معانيه إلا القرآن الكريم.

وقد رأى إخواننا هنا في قطر نماذج من هذا الصنف من الناس، في امتحانات مسابقة القرآن الكريم، فقد امتحنوا أناسا يعيشون في قطر من الباكستانيين والهنود وغيرهم، من بلاد الشرق الأقصى، فوجدوهم يحفظون القرآن كله، ولا يعرفون كلمات العربية ولا معانيها، وقد لفت نظري وأنا أزور بنجلاديش منذ سنوات، أني زرت مدرسة إسلامية هناك -يجلس طلابها على التراب- فوجدت بها صبيا عمره أقل من تسع سنوات، يحفظ القرآن الكريم كله. امتحنته في «الطواسين» و«الحواميم» والمتشابهات(4) في القرآن فلم يخطئ في كلمة، وهو صبي دون التاسعة من العمر، وليس من العرب، ولا في بلاد العرب. علام يدل هذا؟ ألا يدل على تيسير الله هذا الكتاب للحفظ؟

---

(4) الطواسين أو الطواسيم: هي السور التي تبدأ «بطسم» وهي سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

والحواميم: هي السور التي تبدأ «بحم» وهي غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

والمتشابهات: هي الآيات التي يشبه بعضها بعضا في اللفظ، مثل آيات قصة «آدم» سسس، في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، وطه، وص، وليس المقصود بها المتشابهات الآيات التي هي خلاف المحكمات في قول الله تعالى: {**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ**} [آل عمران: 7].

هل في استطاعة أعظم قسيس، أو أعظم أسقف، أو كردينال أن يحفظ صفحات معدودة من التوراة أو الإنجيل؟ لا أظن ذلك بإمكانه.

2- تيسير فهمه:

وكما يسر الله القرآن للحفظ، فقد يسره أيضا للفهم، فأي إنسان عربي أو يعرف العربية يستطيع أن يقرأ القرآن ويفهم منه على قدر ما آتاه الله.

قد لا يفهم المعاني العميقة، وقد لا يفهم بعض الألفاظ، ولكن بمجرد أن يقرأ القرآن يحس بمعانيه، وأنها لتملك عليه قلبه. وكم رأينا بعض الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون يبكون لمجرد سماع القرآن، ما الذي أبكاهم؟ أتراهم يبكون من فراغ؟ أم أن هناك من المعاني والقيم ما استقر في قلوبهم لمجرد السماع، ففاضت بسببه أعينهم؟ وصدق الله إذ يقول: {**فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا**} [مريم: 97]، وإذ يقول: {**فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ**} [الدخان: 58]، وحين قال: {**وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ**} [القمر: 17].

وهذا من خصائص هذا الكتاب العظيم الذي أكرمنا الله به، والذي هو آية وهداية في الوقت نفسه، فهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى لرسولنا محمد صصص. وهو هداية الله التامة للبشرية: {**إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ**} [الإسراء: 9].

هناك قبل رسولنا أنبياء ورسل أعطاهم الله الآيات، وأمدهم بالمعجزات، كموسى سسس فقد أعطاه الله العصا، كما حكى القرآن في قوله تعالى: {**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ18 قَالَ**

أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ19 فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ} [طه: 18- 20]، وآية اليد كما في قوله تعالى: **{وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ}** [طه: 22].

وكعيسى عليه السلام أعطي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، قال تعالى: **{إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}** [المائدة: 110].

هذه الآيات نسميها الآيات الحسية أو الكونية، وهي عظيمة ولا شك، ولكن هذه الآيات لا يؤمن بها إلا من رآها وعايشها، ثم بعد ذلك تكون خبرا من الأخبار.

أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم، وآيته الكبرى فكانت هي القرآن الكريم(5)، وهي آية أدبية عقلية معنوية، ومعجزة باقية على الدهر، تمضي

(5) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صصص قال: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن أو آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة**». متفق عليه: رواه البخاري في «فضائل القرآن» (4981)، ومسلم في «الإيمان» (152)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «فضائل القرآن» (7923). قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته «نهج البردة»:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد يزينهن جلال العتق والقدم

الأيام والسنون والأعوام والدهور والأعصار، وهي حية باقية.

فلا زال القرآن حيا باقيا نتحدى به العالم كله، نتحدى بإعجازه البياني، وبإعجازه التشريعي، وبإعجازه الإصلاحي، وبإعجازه العلمي[6]هذه بعض مزايا القرآن الكريم.

واجبنا نحو القرآن الكريم:

ومن هنا كان علينا واجب، بل واجبات نحو هذا الكتاب العظيم كما سماه الله تعالى، فقد سمى الله تعالى القرآن الكريم ببعض أسمائه فهو: عظيم وعزيز وعلي وحكيم ومجيد وكريم، كما في قوله تعالى: **{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ}** [الحجر: 87]، وقوله تعالى: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ}** [فصلت: 41]، وقوله ززز: **{وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الزخرف: 4]، وقوله: **{قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ}** [ق: 1]، **{بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ}** [البروج: 21]، وقوله: **{إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ}** [الواقعة: 77].

إحسان التلاوة والاستماع:

أولها: أن نحسن تلاوته إذا تلوناه، وأن نحسن استماعه إذا استمعنا إليه.

ومعنى أن نحسن تلاوته: أن نمتثل لقوله تعالى: **{وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا}** [المزمل: 4]، أي نقرأ القرآن بترتيل[7] كما كان يقرؤه الرسول صصص،

---

(6) من الكتب التي جددت التحدي بالقرآن في عصرنا: كتاب «الوحي المحمدي» للعلامة رشيد رضا.

(7) الترتيل: هو التأني والتمهل في القراءة، وتبيين الحروف والحركات، تشبيها بالثغر المرتل، وهو المنضد المستوي الأسنان.

وحكم الترتيل: قال السيوطي: يسن ترتيل القرآن، قال تعالى: {وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا}

والصحابة رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان[8]. وهذا يلزمه أن نحافظ

ـ

= [المزمل: 4].

هذا ما قاله الحافظ السيوطي رحمه الله، ولو قال قائل بوجوب الترتيل لكان أقرب إلى ظاهر ما يدل عليه الأمر القرآني، فإن الأصل في الأوامر القرآنية: أنها تفيد الوجوب. والخطاب في الآية للنبي صصص، أصلا والأمة تبعا، ولذا قال الزركشي: على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله. «البرهان» (449/1). وهذه العبارة أوفق من عبارة السيوطي.

(8) نعتت أم سلمة رضي الله عنها، قراءة النبي صصص، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا. عن يعلى بن مالك، أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صصص، وصلاته بالليل. فقالت: «وما لكم وصلاته، كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح» ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا. رواه أحمد في «المسند» (26526)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لجهالة يعلى بن مالك، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، غير يحيى بن إسحاق فمن رجال مسلم، وأبو داوود في «الصلاة» (1466)، والترمذي في «فضائل القرآن» (2923)، وقال حسن صحيح غريب، والنسائي في «الافتتاح» (1022)، والحاكم في «صلاة التطوع» (453/1)، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

وعن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي صصص؟ فقال: كانت مدا، ثم قرأ: {**بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**}، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم. رواه البخاري في «فضائل القرآن» (5046)، وأحمد في «المسند» (13002)، وأبو داود في «الصلاة» (1465)، والنسائي في «الافتتاح» (1014)، وابن ماجه في «إقامة الصلاة» (1353).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة. فقال: هذا كهذ الشعر، إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فيرسخ فيه نفع. متفق عليه: رواه البخاري في «الأذان» (775)، ومسلم في «صلاة المسافرين» (822)، وأحمد في «المسند» (3607)، والنسائي في «الافتتاح» (1005).

أخرج الآجُرّي في أخلاق حملة القرآن، عن ابن مسعود قال: «لا تنثروه نثر الدَّقَل، ولا تهذُّوه هذَّ الشِّعْر، قِفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدِكم آخرَ السورة». الدقل: رديء التمر. رواه ابن شيبة في «الصلاة» (8825)، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (360/2)، وفي «الكبرى» جماع أبواب «صلاة

على سلامة النطق وأحكام التجويد فنخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، ونعطيها حقها ومستحقها كما يقول علماء التجويد(9)، وأن لا نغير فيها بأن ننطق حرفا مكان آخر؛ لأن هذا يترتب عليه فساد المعنى، أو فهم معنى آخر يتنافى ومعنى القرآن الكريم.

فمثلا هناك بعض الناس لا يخرجون ألسنتهم في نطق «الثاء» و«الذال» و«الظاء»، وهذا وإن جاز في اللغة العادية فإنه لا يجوز ولا يليق بقارئ القرآن، ومثله أيضا عدم تعطيش «الجيم». وهناك ما هو أقسى على النفس من هذا عند من يقلبون القاف غينا في قوله تعالى: **{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ}** [القدر: 1]، وفي قوله تعالى: **{وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ}** [النجم: 48]، لا بد أن نحسن القراءة، وأن نخضع لهجاتنا للقراءة السليمة، ولا نتساهل في هذا بحال من الأحوال.

= التطوع» (13/3).

(9) التجويد لغة: التحسين. واصطلاحًا: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه.

وحق الحروف: الصفات اللازمة التي لا تفارقها كالاستعلاء والاستفال. ومستحقها: الأحكام الناشئة عن تلك الصفات كالتفخيم ينشأ عن الاستعلاء، والترقيق ينشأ عن الاستفال، فإن لم يعط القارئ الحروف حقها ومستحقها ربما تغير مدلول الكلمات. قال الإمام ابن الجزري في باب التجويد:

وهو إعطاء الحروف حقها   من صفة لها ومستحقها

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يقرئ رجلا فقرأ الرجل: {**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ**} [التوبة: 60]، مرسلة «أي: بغير مد» فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم» فقال الرجل: «وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟» قال: «أقرأنيها هكذا: {**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ**}»، ومد الفقراء. رواه الطبراني في «الكبير» (137/9)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجاله ثقات (231/7).

تقويم اللسان بالقرآن:

ولا بد من تقويم اللسان بالقرآن، فمن فضائل القرآن أنه يقوم اللسان، ويعلم الفصاحة، ويمنح القدرة على الخطابة. وقد فطن لهذا بعض الناس من غير المسلمين، فبعض النصارى في مصر كانوا يعلمون أولادهم القرآن في الصغر ليكون عونا لهم على الفصاحة في مستقبلهم، حكي ذلك أديب معروف في مصر وهو الدكتور «نظمي لوقا» وهو نصراني كما نعرف.

وقد ألف كتاب «محمد: الرسالة والرسول»، وكتاب «وامحمداه» و«محمد في بيته» إلخ، وقال في مقدمة «الرسالة والرسول»: إن أباه جعله عند شيخ يعلمه القرآن حتى يستقيم لسانه من الصغر[10].

وكان مكرم عبيد –وهو قبطي وزعيم سياسي معروف في مصر- من الخطباء المشهورين، والذي أعطاه القدرة على الخطابة: حفظه للكثير من القرآن الكريم واقتباسه منه. ونحن أولى الناس بأن نحسن تلاوته، وأن نقوم به ألسنتنا.

ضرورة معرفة أحكام التجويد:

وإذا كانت المحافظة على سلامة النطق أمرا ضروريا ولازما لمن يقرأ القرآن، أو لمن يتعلمه؛ فإن معرفة أحكام التجويد وطريقة الأداء –أيضا- أمر ضروري، فلا تكفي المعرفة النظرية لأحكام التجويد، بل لا بد من التطبيق العملي حتى نقرأ القرآن كما كان يقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم.

---

(10) الموسوعة الإسلامية الكبرى، «محمد الرسول والرسالة» (ص33، 34).

ومن فضل الله تعالى علينا أن يسر لنا هذا، يسر لنا سماع المصحف المرتل من الإذاعات، فبالإمكان أن يسمع الإنسان من إذاعة القرآن الكريم ما يشاء، وبالإمكان أن يحضر الإنسان الأشرطة والمسجل، وهناك المصحف المعلم، وهناك أيضا مراكز تحفيظ القرآن الكريم، كل هذا ميسر لنا والحمد لله.

ولا عذر يقبل عن تقصير منا، أو قصور فينا، فواجبنا جميعا أن نقرأ القرآن قراءة حسنة كما كان يقرأه الصحابة، وأن نعلم أولادنا وتلاميذنا هذه القراءة.

التدبر والخشوع:

ولا بد مع سلامة النطق ومراعاة أحكام التجويد، من التدبر والخشوع؛ لأن الله تعالى يقول: {**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**} [ص: 29]، أي أنزل للتدبر والتذكر، ويقول سبحانه: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا**} [النساء: 82]، ويقول: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**} [محمد: 24]، فلا بد أن نعايش القرآن بقلوبنا وعقولنا. هذا هو المهم، فلا يليق أبدا أن نقرأه بألسنتنا وقلوبنا مشغولة عنه؛ لأن هذا يتنافى وجلال القرآن وعظمته(11).

---

(11) المقصود من القراءة هو الفهم والتدبر لإدراك معاني الآيات، وفقه ما فيها من حكم ومواعظ، ومعرفة ما تنطوي عليه من عقائد وعبادات، وما ترشد إليه من آداب وفضائل، وما تشرعه من حلال وحرام، وما تورده من قصص وتذكير، وإذا لم يتحقق المقصود من القراءة بترك التدبر والفهم فقد فات القارئ خير كثير.

والله عع ما أنزل كتابه إلا ليتدبره قارئه، ويفقه معانيه، قال تعالى: {**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**} [ص: 29]، ولهذا لم يكن النبي صلى الله

ورحم الله محمد إقبال[12] شاعر الإسلام في باكستان؛ لقد كانت قراءته للقرآن تختلف عن قراءة الناس، ولهذه القراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه

= عليه وسلم، يعني بكثرة القراءة بقدر ما كان يعني بالتدبر والفهم، فعن أبي ذ رضي الله عنه قال: «قام بنا رسول الله صصص ليلة بآية حتى أصبح وهي: {**إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**} [المائدة: 118]»، رواه أحمد في «المسند» (21328)، وقال مخرجوه: إسناده حسن، والنسائي في «الافتتاح» (1010)، وابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» (1350)، والحاكم في «الإمامة وصلاة الجماعة» (367/1)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» باب «الخوف من الله» (482/1)، وفي «الكبرى» جماع أبواب (14/2)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (1110).

وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: {**أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ**} [الجاثية: 21]، وكان منهج السلف الذين رسموه لأنفسهم ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صصص، عشر آيات لم يجاوزها حتى يعملوا ما فيها من العلم والعمل. رواه أحمد في «المسند» (23482)، وقال مخرجوه: إسناده حسن من أجل عطاء، وابن أبي شيبة في «فضائل القرآن» (30549). وفي «الإتقان»: أقام ابن عمر رضي الله عنه، على سورة البقرة ثماني سنين. رواه مالك باب «التعليم والتعلم» (5846/8)، بلاغا، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (331/2)، عن مالك بلاغا. ذلك أنه كان يحفظ ولا ينتقل من آية إلى آية حتى يفهم ما فيها من معان.

وقد جاءت الأحاديث تصف حال قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وقد سماهم النبي صصص: «**شرار الخلق**»، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله صصص: «**إن بعدي من أمتي –أو سيكون من أمتي- قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة**». رواه مسلم في «الزكاة» (1067)، وابن ماجه في «المقدمة» (170).

(12) محمد إقبال: فيلسوف وشاعر وحكيم وداعية ومجاهد، ولد في ولاية «البنجاب» سنة 1877م، ونشأ في كنف أسرة صالحة يغلب عليها التصوف، مما كان له أثر كبير في نشأته، أحب الثقافة والآداب الإسلامية، كما درس الثقافة الغربية، ونقد نزعتها المادية، وعاش هموم أمته وعمل على إصلاحها والنهوض بها، توفي سنة 1938م.

للقرآن، واستطعامه إياه، وقد حكى قصته لقراءة القرآن، وقال: «قد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي، تسألني نفس السؤال؟ وأجيبك جوابا واحدا، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي! اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك! ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت»(13).

وكيف لا نخشع لتلاوة القرآن أو لسماعه، والله يقول: **{لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ}** [الحشر: 21]، أي: لتصدع الجبل وتزلزل على قوته وشموخه ورسوه في الأرض، ويقول: **{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ}** [الحديد: 16]. وإذا وجد الخشوع تضاعف أجر القراءة وثوابها، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: {الٓمٓ} حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(14).

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الخشوع فقال: «**إن هذا**

(13) ديوان محمد إقبال (34/1).

(14) رواه البخاري في«التاريخ الكبير» (216/1)، والترمذي في «فضائل القرآن» (2910)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (324/2)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (3327).

القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[15]، ومع هذا نرى بعض الناس يقرؤون القرآن أو يسمعونه لمجرد أنه نغم، دون تدبر أو خشوع، يسمعون القوارع والزواجر التي تزلزل القلوب بتهديدها ووعيدها، وتتعالى صيحاتهم بالإعجاب بصوت القارئ.

يسمعون قول الله تعالى: **{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ 30 ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ 31 ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ}** [الحاقة: 30- 32]، أو قوله تعالى: **{فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ 34 يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ 35 وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ}** [النازعات: 34- 36]، أو قوله تعالى: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا}** [النساء: 10]، فترفع صيحات الإعجاب كأن القرآن لا يتحدث عن القيامة وأهوالها، أو جهنم وأغلالها وسعيرها! إن هؤلاء في غفلة للأسف. نحن المسلمين لم نعد نقرأ القرآن ونسمعه كما ينبغي، لذا نجد أعداء الإسلام أصبحوا يذيعون القرآن من إذاعتهم؛ لأنهم اطمأنوا أن القرآن لم يعد يحرك فينا ساكنا، أو ينبه منا غافلا، لم يصنع منا كما صنع بالمسلمين الأوائل الذين طرأ القرآن على حياتهم فغيرها. فإسرائيل وغيرها يذيعون القرآن، ولو علموا أننا سنتدبره ونعمل به كسلفنا الصالح ما أذاعوه؛ لأن تدبره يؤدي إلى العمل به، وتدبر القرآن والعمل به هو الذي يجمع شتات الأمة، ويوحد صفوفها، ويجمع كلمتها، ويجعل منها أمة قوية كسلفها، ولذا فلا بد من العمل بهذا القرآن.

---

(15) رواه ابن ماجه في «إقامةالصلاة» (1337)، وأبو يعلي في «المسند» (689)، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (2147)، وفي «الكبرى» كتاب «الشهادات» (231/10)، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (281).

العمل بالقرآن:

إن القرآن لم ينزل ليقرأ على الأموات، وليتبرك به في المنازل والعربات، وإنما نزل منهاجا للفرد، ودستورا للدولة، ونظاما للحياة كلها ليحكمها بما أنزل الله زززز فيه من الهدى ودين الحق، قال تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}** [النحل: 89]، بين لنا الله فيه أصول الهداية، وأصول الحياة، وأصول التشريع، وأصول القيم: **{إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}** [الإسراء: 9]، **{كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [الأنعام: 155]، ويوم اتبع المسلمون هذا الكتاب وساروا وراءه، ونفذوا أحكامه وتعاليمه: كانوا خير أمة حقا كما أراد الله لهم، قادوا الدنيا بزمام، وفتحوا المشارق والمغارب بهداية هذا القرآن، وبالعمل به، لم ينشروا الإسلام بالسيف كما يزعم الأفاكون من المبشرين والمستشرقين وغيرهم، أي سيف هذا الذي يتحدثون عنه؟

لقد دخل الإسلام مصر ببضعة آلاف على رأسهم عمرو ابن العاص، وكانت مهمتهم أن يخرجوا الرومان الذين احتلوا مصر، وأن يتيحوا الفرصة أمام من يريد اعتناق الإسلام. لذا فقد تآلف المسلمون مع الشعب القبطي المصري في ذلك الوقت، ولم يكرهوا أحدا على الإسلام، وبعد فترة انتشر الإسلام بين أهل مصر، لا بسيف، ولا بجيش، وإنما دخل الناس في دين الله أفواجا، حتى كان ولاة بني أمية يفرضون الجزية على من دخل في الإسلام، لكثرتهم، وحينما جاء عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، اقترح واليه على مصر أن يستمر في فرض الجزية على من أسلم، أسوة بمن كان قبله، لكثرة من أسلم من الناس، فبعث إليه عمر يقول: «قبح الله رأيك، إن

الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا»[16].

فالإسلام لم ينتشر بالسيف، إنما انتشر بهداية القرآن، وبعمل المسلمين بهذا القرآن. كانوا صورة عملية لهذا القرآن، كان كل واحد منهم مصحفا يمشي على قدمين، يرى الناس فيه آداب القرآن، وأخلاق القرآن، كما كان رسول الله صصص. سئلت عائشة رررا عن خلقه صصصص، فأجابت بالجواب الجامع قالت: «كان خلقه القرآن»[17]، أي إذا أردت أن تعرف خلق الرسول صصص فافتح المصحف واقرأ: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا63 وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا64
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا65 إِنَّهَا سَآءَتۡ
مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا66 وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا67
وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا
يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا68 يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا69 إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا70 وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا71
وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا72 وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا73 وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا74 أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ

(16) رواه بن سعد في «الطبقات» (384/5)، وانظر: «البداية والنهاية» (188/9).

(17) رواه أحمد في «المسند» (25302)، وقال مخرجوه: حديث صحيح، عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله صصصص؟ قالت؟ كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ} [القلم: 4].

وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا75 خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا} [الفرقان: 63-76].

واقرأ: {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ1 ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ2 وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ3 وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ4 وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ5 إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ6 فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ7 وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ 8 وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ9 أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ} [المؤمنون: 1- 10].

اقرأ أول سورة البقرة: {ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ3 وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ4 أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [البقرة: 3- 5].

اقرأ أوصاف المؤمنين في أول الأنفال: {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ2 ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ3 أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ} [الأنفال: 2- 4].

واقرأ أوصاف المحسنين في سورة الذاريات: {ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ16 كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ17 وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ18 وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ} [الذاريات: 16- 19].

وأوصاف الأبرار في سورة الإنسان: {إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا5 عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا6 يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا7 وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا

وَأَسِيرًا8 إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا9 إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا10 فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا11 وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا} [الإنسان: 5- 12]، تعرف أخلاق محمد صصص، فهو خير من جسد تعاليم القرآن في حياته، وهكذا كان المسلمون في العصور الأولى.

كان كل منهم قرآنا مرئيا مجسما بين الناس. بهذا نشروا الإسلام في العالمين، ولم ينشروه بالسيف كما يزعم المضللون. إن بلاد الشرق الأقصى: الفلبين، وإندونيسيا، وماليزيا، وهذه البلاد التي فيها مئات الملايين من المسلمين، لم يدخلها فاتح مسلم، ولم تطأ أرضها خيول المسلمين ولا جيوشهم، فمن أين أسلموا؟ أسلموا بعمل المسلمين بالقرآن.

ومن هنا كان علينا نحن مسلمي اليوم، إذا أردنا أن نكون من أهل القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم: «**إن لله أهلين من الناس**». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**»(18). هل مجرد أن يقرأ الإنسان القرآن بلسانه، وقلبه بعيد عنه كل البعد، وحياته تنافيه، يشفع له يوم القيامة؟ ومن يقول هذا؟ السلف يقولون: رب تال للقرآن، والقرآن يلعنه(19).

وكأنهم يحذرون من يقرأ قول الله تعالى: **{أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}**[هود:

(18) رواه أحمد في «المسند» (12279)، وقال مخرجوه: إسناده حسن، والنسائي في «الكبرى» كتاب «فضائل القرآن» (8031)، وابن ماجه في «المقدمة» (215)، والحاكم في «فضائل القرآن» (2046)، وقال الذهبي: روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2165).

(19) ذكره الغزالي في «الإحياء» عن أنس (274/1).

18]، ويظلم، ويقرأ: {**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ**} [الأنفال: 58]، ويخون، يحذرونه من أنه لن تناله شفاعة القرآن، وكيف تناله وحاله هذا؟ إنما يشفع القرآن لمن قرأه وعمل به، كما جاء عن النبي صصص: «**القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، فمن جعله أمامه: قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره: قاده إلى النار**»[20]، أي من جعل القرآن أمامه وإمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، واتخذه وراءه ظهريا، وجعله نسيا منسيا، فإن القرآن يزجه في قفاه حتى يرديه في النار؛ لأنه أخر ما يجب أن يقدم، ووضع القرآن في غير موضعه. إنما يشفع القرآن لمن قرأه وعمل به، لمن أحيا به ليلة، وعمل به نهاره، كما جاء في الحديث، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه. فيشفعان**»[21].

وأيضا جاء في الحديث: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفق منه آناء**

(20) رواه عبد الرازق (6010)، وابن أبي شيبة (30677)، كلاهما في «فضائل القرآن»، وقال عوامة: هذا موقوف رجاله ثقات، لكنه منقطع، لكن رواه عبد الرازق من وجه آخر صحيح، والطبراني في «الكبير» (198/10)، والبيهقي في «الكبرى» كتاب «الأضاحي» (19490)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4443).

(21) رواه أحمد في «المسند» (6626)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف، والحاكم في «فضائل القرآن» (740/1)، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان» باب «تعظيم القرآن» (346/2)، وأبو نعيم في «الحلية» (161/8)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، ورجال الطبراني رجال الصحيح (419/3)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3882).

الليل وآناء النهار»[22]، والمراد بالحسد هنا: الغبطة، أي يتمنى أن يكون مثله في قراءة القرآن، أو الإنفاق، ولا يتمنى زوال نعمته، فتمني زوال النعمة هو الحسد الذي: **«يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**[23]. إنما يشفع القرآن لمن أحيا به ليلة، وعمل به.

ومن هنا كان واجبنا نحن المسلمين أفرادا وجماعات ودولا: أن يصبح القرآن منهاج حياتنا. وقد رسم القرآن لنا المنهاج الكامل للحياة التي يحياها الإنسان، في علاقته بالله عقيدة وعبادة في علاقة الرجل بزوجته والمرأة بزوجها: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ}** [البقرة: 228]، في علاقة الوالد بولده، والولد بوالديه، في علاقة الفرد بالآخرين من الناس، في علاقة الحاكم بالمحكومين[24].

---

(22) متفق عليه: رواه البخاري في «التوحيد» (7529)، ومسلم في «صلاة المسافرين» (815)، كما رواه أحمد في «المسند» (4550)، والترمذي في «البر والصلة» (1936)، وابن ماجه في «الزهد» (4209)، عن ابن عمر.

(23) رواه أبو داود في «الأدب» (4903)، وعبد بن حميد في «المسند» (1430)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (1048). عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: **«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**. أو قال: **«العشب»**، وله شاهد من حديث أنس، رواه ابن ماجه في «الزهد» (4210).

(24) الله تتت أنزل القرآن الكريم وجعله كتابا لأسمى المبادئ، وأقوم المناهج، وخير النظم، وحافلا بكل ما يحتاج إليه البشر في جميع جوانب حياتهم، جانب العقيدة والتصور، جانب العبادة والتنسك، جانب الأخلاق والسلوك، جانب التشريع والنظام، وقد قال الله تعالى: {**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**} [النحل: 89].

فهو يشرح للناس العقيدة الحقة، ويبين ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرده بالخلق والإبداع. =

- ويعرض الطبيعة أمام الفكر والعقل والنظر؛ ليهتدي الإنسان بالتأمل فيها إلى الله، خالق هذا الكون ومبدعه: {**قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ59 أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ60 أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ61 أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ62 أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ**} [النمل: 59- 63].

ويعرض أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، إذ هي النوافذ التي تطل منها القلوب على معرفة الله: {**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ22 هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ23 هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**} [الحشر: 22- 24].

وفصل القرآن المصدر الذي جاء منه الإنسان، والمصير الذي ينتهي إليه، وغايته بين البداية والنهاية: {**أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ115 فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ**} [المؤمنون: 115، 116]، {**أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى**} [القيامة: 36]، {**وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ56 مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ57 إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ**} [الذاريات: 56- 58].

ويرسم القرآن للناس طريق العبادة: من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذكر، والفكر، والدعاء، والتلاوة، والإخلاص، والتوكل، والرجاء والخوف، والخشية والحب، والتوبة والإنابة

لتربطهم بالله تعالى، فتتهذب نفوسهم، وتقوي إرادتهم، وتسمو أرواحهم إلى مدارج العز والكرامة؛ ولتتجرد من ماديات هذه الحياة، وتتجه إلى خالقها وبارئها؛ لتستمد منه النور والهدى، وتستعين به على الاضطلاع بأمانة الحياة: **{قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ162 لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}** [الأنعام: 162، 163].

وأفاض القرآن في النواحي الأخلاقية، والآداب العامة والخاصة، والفضائل التي تنهض بالفرد وترقى بالجماعة، وألح في الدعوة إليها، والحث عليها ليكتمل المجتمع الإنساني، ويصل إلى المنزلة التي يكون فيها أهلا لخلافة الله في الأرض: {**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا**} [النساء: 58]، {**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ32 قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**} [الأعراف: 32، 33].

وبالإضافة إلى هذا يضع النظام الذي يربط الإنسان بأخيه الإنسان، ويحدد الصلات بين الأفراد بعضهم ببعض، في التعاون وسائر المعاملات، لدرء الخصومة ورفع الخلاف.

ويشرع الشرائع الاجتماعية التي تنظم التشريع الأسري، كالزواج، والطلاق، والوصية، والميراث.

والتشريع المدني المتعلق بمعاملات الناس، كالبيع، والشراء، والرهن، والإجارة.

والتشريع الجنائي المتعلق بالحدود، والقصاص، كالسرقة، والقتل.

والتشريع الحربي المتعلق بالقتال، وعهود الحرب والسلم، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها.

بهذا وغيره جاءت آيات القرآن موجزة جامعة، تضع الأسس والأصول التي ترسم منهاج الحياة، حتى في الأمور البسيطة كالمشي، وآداب الزيارة، يعلمنا القرآن كيف نمشي فيقول سبحانه: **{وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا}** [الفرقان: 63]، أي لا يمشون متبخترين متجبرين لكن بسكينة وتواضع. ويقول أيضا: **{وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا}** [الإسراء: 37]، أي لا تمش مختالا متكبرا لأنك مهما دببت على الأرض بقدمك، أو تمطيت إلى السماء بعنقك، فلن تخرق الأرض، ولن تبلغ الجبال طولا. ويقول عز وجل: **{وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ}** [لقمان: 19]، أي لا تهرول كالحمقى، ولا تتباطأ أو تتماوت وإنما كن متوسطا.

وفي آداب الزيارة يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ**

= والتشريع السياسي المتعلق بنظام الحكم والسياسة العادلة.

وغاية القرآن من ذلك كله أن ينشئ الفرد السوي، والأسرة المسلمة، والمجتمع الفاضل، والحكومة الصالحة، ليتألف من هؤلاء جميعا كيان إسلامي قوي، يقيم الحق والعدل، ويرفع الظلم، ويدفع العدوان، لتكون لهم وراثة الأرض: {**وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**} [الأنبياء: 105].

وهذه هي غاية الأديان والرسالات جميعا: {**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ**} [الحديد: 25].

تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ27 فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ} [النور: 27، 28].

هذا التعبير القرآني: **{حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ}** يعلمنا أسمى وأرقى أنواع الذوق الإنساني؛ لأنه لا يدل على مجرد الإذن، وإنما يدل على الإذن والاستعداد والرغبة في زيارتك. أي ما يسمونه «الإتكيت»، أو «البروتوكول»، من هذا الأدب القرآني الذي يرتفع بنا إلى درجة الاستئناس عند الزيارة؟

{وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ}، لا شيء في عدم الإذن أو الرجوع التماسا للأعذار، أو لعدم الاستعداد في الحال، لا ينبغي أن يكون في عدم الإذن غصة أو غضاضة؛ لأن القرآن لا يرى ذلك. حكى الأستاذ البهي الخولي رحمه الله، عن الإمام الشهيد حسن البنا أن جماعة من الناس زاروه وكان مشغولا لأمر ما، فطلب من ابنه أو أخيه أن يفتح لهم، وأن يدخلهم المجلس ففعل، ثم أمره أن يقدم لهم تحية الضيف، وبعد فترة جاءهم واعتذر إليهم عن الجلوس معهم لانشغاله بأمر ما، فغضبوا ولاموه. فقال لهم: القرآن حكم بيننا، الله يقول: **{حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ}** [النور: 27]، وأنتم لم تستأنسوا؛ لأنكم جئتم في وقت غير مناسب لي، واستقبلكم أحد أفراد البيت وقدم لكم واجب الضيف دون حضوري، وكان يمكن أن تفهموا بعد هذا أني مشغول فتنصرفوا، ولم تفعلوا وحضرت أعتذر إليكم بنفسي فلم تقبلوا، مع أن الله تعالى يقول: **{وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ}** [النور: 28]. قال: وكانوا على شيء من الفقه والعلم. فقالوا: أفحمتنا، الحق معك. فسلموا عليه وانصرفوا. هكذا يحكم الناس القرآن في سلوكهم وتصرفاتهم؛ لأنه رسم لنا

آداب السلوك، فلو أننا كنا قرآنيين لكانت حياتنا أرفع حياة. نحن لسنا في حاجة إلى استيراد التقاليد أو الآداب من هنا وهناك، عندنا ما يكفينا، فقد أعطانا القرآن كل شيء، فحبذا العود إليه، فبالقرآن نعز بعد ذلة، ونقوى بعد ضعف، ونأمن بعد خوف، وتعود إلينا السيادة، ونصبح في طليعة الأمم بعد أن أصبحنا وراء القافلة، كنا في مأخذ الزمام، يوم كنا قرآنيين، فلما أعرضنا عن القرآن أصبحنا في مؤخرة الأمم. الآن يقولون عنا العالم الثالث، أو الدول النامية أي المتخلفة، ولكنهم يخففون العبارة فيسمونها الدول النامية.

يوم كنا قرآنيين كانت أمتنا في الطليعة، كانت إماما للدنيا، وقادت الدنيا بهذا الكتاب العظيم.

فواجبنا نحن المسلمين أن نعود للقرآن، نحسن قراءته، ونحسن الاستماع إليه، ونحسن فهمه وتدبره، ونعيش معه بقلوبنا وعقولنا، ثم نحكمه في حياتنا: حياتنا الفردية، حياتنا الأسرية، حياتنا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. نحل ما أحل هذا القرآن، ونحرم ما حرمه، هذا واجبنا جميعا، ليس واجب الرجال وحدهم، ولا واجب النساء وحدهن، هو واجب الرجال والنساء، والحكام والمحكومين، واجب المسلمين جميعا.

فالقرآن هو روح هذه الأمة: **{وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}** [الشورى: 52]، هو روح ونور: روح يحيي، ونور يضيء. ولكن للأسف نحن المسلمين لا نستفيد من هذا النور وإن كان معنا وفي أيدينا.

ومن العجائب والعجائب جمة قرب السبيل وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

إذا أردنا أن نسعد في الدنيا، وأن نفوز في الآخرة، وأن يرضى الله تنتت عنا، إذا أردنا ذلك: فعلينا أن نعود إلى القرآن، أن نعود إلى كتاب الله تعالى. هو المخرج من كل فتنة وظلمة، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي، عن علي ابن أبي طالب ررر، أنه سمع النبي صصص: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم**». قلت: «وما المخرج منها، يا رسول الله؟» قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: {إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا}** [الجن: 1]، **هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**». والحديث ضعيف. ولكن معناه صحيح[25].

واجباتنا نحو القرآن كثيرة، اكتفينا منها بما ذكرناه هنا، ولكن نشير فقط إلى ضرورة فهم القرآن، وهذا هو مقتضى تدبره، وعلينا أن نستعين في فهمه

(25) رواه الترمذي في «فضائل القرآن» (2906)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، والدارمي في «فضائل القرآن» (3331)، والبزار في «المسند» (483)، عن علي بن أبي طالب، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (544).

بتفاسير المفسرين، وكل تفسير له مزايا، والبصير من أحسن الاستفادة منها.

كما نشير إلى ضرورة الدعوة إلى القرآن، دعوة المسلمين للرجوع إليه، والاحتكام إليه، رعاة ورعية، ودعوة غير المسلمين ليقبلوا على دعوته، ويؤمنوا برسالته، فهو المصدر الأول للدعوة، كما أنه المصدر الأول للتشريع.

ولعلنا في فرصة أخرى نفصل بعض هذه الواجبات[26].

* * *

نسأل الله تتت بكل اسم هو له، سمي به نفسه أو أنزله في كتابه، أو علمه أحدا من خلقه، أو استأثر به في علم الغيب عنده، أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همنا وغمنا، وأن يجعلنا قرآنيين مسلمين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين بشرهم الله بقوله: **{ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}** [الزمر: 18].

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(26) انظر: كتابنا «كيف نتعامل مع القرآن العظيم». نشر: دار الشروق - بالقاهرة.